

وقت مبكر ، ذلك الدور الذي كان يلعبه الملاكون
الكبار في مسألة الارض :

بسعوا البلاد الى اعدائهم طمعاً
بالمال ، لكننا اوطانهم بسعوا

قد يمدّون لو ان الجوع ارغمهم
والله ما عطشوا يوماً ولا جاعوا

كان ابراهيم طوقان قد اطلق في العام نفسه ملحمته
عن احكام الاعدام التي اصدرتها حكومة الانتداب

على الشهداء الثلاثة : مؤاد حجازي من صفد ،
ومحمد ججموع وعطا الزير من الخليل ، وهي

القصيدة التي اصحت شهيرة للفنية ، واضحت
تعتبر جزءاً من تراث الثورة ، مثلها مثل قصيدة

عبد الرحيم محمود في ١٤/٨/١٩٣٥ ، التي خاطب
بها الامير سعود الذي جاء يومذاك يزور فلسطين :

المسجد الاقصى ، اجنت تـزوره
أم جنت من قبل الضياع تودعه ؟

سوف يستشهد شاعرنا هذا في ١٩٤٨ في معركة
الشجرة في فلسطين ، ولكنه قبل ذلك يلعب دورا

بارزا مع أبو سلمى وطوقان في ارساء دعائم
الشعر الفلسطيني المقاوم الذي سيضحي فيها

بعد ، تحت الاحتلال الاسرائيلي ، من أبرز مظاهر
صمود الجاهير الفلسطينية .

لقد رافق الشعر والشعر الشعبي التحرك
الجهادى منذ اوائل الثلاثينات بصورة رئيسية ،

وعبر عن انتفاج الثورة وعن دقائقها وغناها : ان
قصيدة ابو سلمى « انشر على لهب القصيد » التي

أرخ فيها لثورة ١٩٣٦ تكشف بجرأة تلك الخيبة
المرّة التي نشأت عن خذلان الانظمة العربية

للثورة :

يا من يعززون الحمى
ثوروا على الظلم المبيد

بل حرروه من الملوك
وحرروه من العبيد ...

ويذكر بالشاعر الشعبي « عوض » الذي كتب
على جدران زنازنته في عكا ليلة اعدامه في ١٩٣٧

قصيدة رائعة كانت نهايتها :

ظنيت اننا ملوك
تمشي وراها رجال

تخسنا الملوك ان
كان هيك الملوك انذل

والله تيجانهم ما
يصلحوا لنا نعال

ان تركيزنا على الدور الذي لعبه الشعر ولعبه
الشعر الشعبي ، لا يعني ان المظاهر الاخرى

من الانتاج الثقافي في فلسطين لم تلعب اي دور او
ان دورها كان يسيراً : فالصحف والمقالات

الادبية والقصص وحركة الترجمة لعبت مجتمعة
دورا طليعيا لامتنا للنظر . ففي مقال افتتاحي

— مثلا — نشره يوسف العيسى عام ١٩٢٠ في
النفاثس نقرا : « فلسطين عربية ، عربية

بمسليها ، عربية بمسيحيها ، عربية بيهودها
الوطنيين ايضا ، فعلا ببيع حياها الاجنبي

الصهيوني ... ان زواج فلسطين لا تهدأ اذا
فصلت عن سوريا وجعلت وطنيا للصهيونية... »

ان انطلاقات من هذا النوع ، منذ مطالع
العشرينات ، هي التي شكلت المد الثقافي الثوري

في الثلاثينات ، الذي لعب دورا مهما في تهيئة
الوعي وتنجير الثورة : اقلام مثل ظم عارف المعارف

وخليل السكاكيني (الناثر الحاد ، الساخر ،
الجري ، ابن معلم النجارة) واسعاف النشاشيبي

(البورجوازي الكبير الذي تأثر بالسكاكيني وتبنى
الكثير من آرائه) وعارف العزوني ، ومحمود

سيف الدين الابرائي ونجاتي صدقي (الصوت
اليساري المبكر الذي ، في ١٩٣٦ ، مجد مادية ابن

خلدون واعلن احتقاره للمثالية — وربما كان هو
أول من أرخ للحركة الوطنية العربية منذ بدء

عصر النهضة عبر تحليل مادي للاحداث ، ونشر
بحوثه في « الطليعة » خلال ١٩٢٧ — ١٩٢٨)

وعبد الله مخلص (الذي أخذ منذ اواسط الثلاثينات
يدعو الى الادراك بأن الاستعمار ظاهرة طبيعية ،

والى أن الانتاج الفني يجب ان يكون موجها) ورجا
الخوراني ، وعبداله البندك ، وخليل البديري ،

ومحمد عزة دروزة ، وعيسى السفري (الذي
مجد استشهاد القسام تقييدا له معناه الثوري

العميق) ذلك الاحتدام في الجو الثقافي
الفلسطيني ، الذي وصل الى ذروته في الثلاثينات ،

أخذ كما نرى اشكالا متعددة في التعبير ، ومع ذلك
فقد ظلت اولوية التأثير — لاعتبارات عديدة منها

تاريخ الادب العربي نفسه — للشعر وللشعر
الشعبي الذي كان بدوره تعبيرا ، ايضا ، عن ذلك الجو .

ان هذا وحده هو الذي يفسر ذلك الدور الذي كاد
ان يكون وعظا سياسيا مباشرا ، الذي انتدب

الشعر نفسه ليلعبه في تلك الفترة . ففي ١٩٢٩
على سبيل المثال كان ابراهيم طوقان يكشف ، في